

تفريغ حلقات

محال سر من

في التعليق على

تفسير الحافظ بن كثير لأيات من القرآن الكريم

فضيلة الشيخ العلامة
ربيع بن هادي عمير المدخلي
رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية "سابقاً"

قام بها

فريق التفريغات بموقع ميراث الأنبياء



miraath.net

ميراث الأنبياء

www.miraath.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يقدم لكم

حَجَّالْبَيْتِ رُضَيَّانَ

في التعليق على
تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله
لآيات من القرآن الكريم

عقدها

فضيلة الشيخ العلامة

أَبِي بَكْرٍ بْنُ عَمْرٍو (الْمَدِينِي)

— حفظه الله ورعاه —

في بيته بمكة المكرمة خلال شهر رمضان المبارك لعام خمسة وثلاثين
وأربعمئة وألف للهجرة النبوية نسال الله - سبحانه وتعالى - أن ينفعنا وإياكم
وأن يجزي الشيخ خير الجزاء.

الجلس الثاني

المتن:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - عند قوله - تعالى - : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤].

يقول - تعالى - كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قَصَّرَ في أوامر الله، أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم وتبصروا من عمايتكم، وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله - تعالى - : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾

قال: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وتقواه وبالبر ويخالفون فعيرهم الله - عز وجل - وكذلك قال سُدي.

وقال ابن جريج ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ﴾، أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيرهم الله بذلك فمن أمر بخير فليكن أشد الناس فيه مُسارعة.

وقال محمد بن إسحاق عن محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿وَتَنسَوْنَ
أَنفُسَكُمْ﴾، أي تتركون أنفسكم عباس ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛ أي تنهون الناس عن
الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم أي وأنتم تكفرون بها من عهدي
إليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجددون ما تعلمون من كتابي.

وقال الضحاك، عن ابن عباس في هذه الآية، يقول: أتأمرون الناس بالدخول في دين محمد -
صلى الله عليه وسلم- وغير ذلك مما أمرتم به من إقام الصلاة، وتنسوا أنفسكم؟
وقال أبو جعفر بن جرير: حدثني علي بن الحسن، حدثنا مسلم الجرمي، حدثنا مخلد بن الحسين،
عن أيوب السخيتاني، عن أبي قلابة في قول الله - تعالى -: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ
تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾

قال: قال أبو الدرداء لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ثم يرجع إلى
نفسه فيكون له أشد مقتا.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذه الآية: هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل يسألهم عن شيء
ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء أمره بالحق، فقال الله - تعالى -: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ
أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

والغرض أن الله - تعالى - ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا

يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له،
فإن [الأمر بالمعروف]

معروف وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به، ولا
يتخلف عنهم، كما قال شعيب - عليه السلام -: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَنْهُ إِنِّي مَأْمُورٌ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ وَالْإِنصَافِ﴾ [هود: 88].

فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من
السلف والخلف.

وذهب بعضهم إلى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنه، وهذا ضعيف، وأضعف منه تمسكهم
بهذه الآية؛ فإنه لا حجة لهم فيها.

والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف، وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه،
وقال مالك عن ربيعة: سمعت سعيد بن جبير يقول له: "لَوْ كَانَ الْمَرْءُ لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ
الْمُنْكَرِ حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ مَّا أَمَرَ أَحَدٌ بِمَعْرُوفٍ وَلَا نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ"

وقال مالك: "وَصَدَقَ مَنْ ذَا الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ؟" قلت ولكنه - والحالة هذه - مذموم على
ترك الطاعة وفعله المعصية، لعلمه بها ومخالفته على بصيرة، فإنه ليس من يعلم كمن لا يعلم؛ ولهذا
جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك، كما قال الإمام أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير:

حدثنا أحمد بن المولى الدمشقي والحسن بن علي المعمرى، قالا حدثنا هشام بن عمار، حدثنا علي بن سليمان الكلبي، حدثنا الأعمش، عن أبي تيممة الهجيم، عن جندب بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْعَالَمِ الَّذِي يَعْلَمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ كَمَثَلِ السَّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ». هذا حديث غريب من هذا الوجه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا وكيع، حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد هو ابن جدعان، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقَرِّضُ شِفَاهَهُمْ بِمَقَارِضٍ مِنْ نَارٍ قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟»

ورواه عبد بن حميد في مسنده، وتفسيره، عن الحسن بن موسى، عن حماد بن سلمة به. ورواه ابن مردويه في تفسيره، من حديث يونس بن محمد المؤدب، والحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة به. وكذا رواه يزيد بن هارون، عن حماد بن سلمة به، ثم قال ابن مردويه: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا إسحاق بن إبراهيم التستري ببلخ، حدثنا مكِّي بن إبراهيم، حدثنا عمر بن قيس، عن علي بن زيد عن ثمامة، عن أنس، قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «مَرَرْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي عَلَى أَنْاسٍ

تُقَرِّضُ شِفَاهَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ».

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن أبي حاتم، وابن مردويه - أيضا - من حديث هشام الدستوائي، عن المغيرة - يعني ابن حبيب - ختن مالك بن دينار، عن مالك بن دينار، عن ثمامة، عن أنس بن مالك، قال: «يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ هَؤُلَاءِ الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟».

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن أبي وائل، قال: قيل لأسامة - وأنا رديفه - ألا تكلم عثمان؟ فقال: "إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي لَا أَكَلِمَةَ إِلَّا أَسْمِعَكُمْ إِنِّي لِأَكَلِمَةٍ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ أَمْرًا لَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ افْتَتَحَهُ وَاللَّهِ لَا أَقُولُ لِرَجُلٍ إِنَّكَ خَيْرُ النَّاسِ وَإِنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا بَعْدَ أَنْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ - قَالُوا وَمَا سَمِعْتَهُ - يَقُولُ؟ قَالَ: سَمِعْتَهُ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ بِهِ أَقْتَابُهُ فَيُدَوِّرُ بِهَا فِي النَّارِ كَمَا يَدَوِّرُ الْحِمَارُ بَرَحَاهُ فَيَطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ مَا أَصَابَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ كُنْتُ أَمْرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

ورواه البخاري ومسلم، من حديث سليمان بن مهران الأعمش، به نحوه.

وقال أحمد: حدثنا سيار بن حاتم، حدثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إِنَّ اللَّهَ يُعَافِي الْأُمِّيَّينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا لَا يُعَافِي الْعُلَمَاءَ»

وقد ورد في بعض الآثار: " إِنَّهُ يَغْفِرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعِينَ مَرَّةً حَتَّى يَغْفِرَ لِلْعَالِمِ مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَيْسَ مَنْ يَعْلَمُ كَمَنْ لَا يَعْلَمُ".

وقال- تعالى - ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: 9].
وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ أَنَسًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطَّلِعُونَ عَلَى أَنَسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُونَ بِمَ دَخَلْتُمُ النَّارَ؟ فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ إِلَّا بِمَا تَعَلَّمْنَا مِنْكُمْ فَيَقُولُونَ إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ» رواه من حديث الطبراني عن أحمد بن يحيى بن حيان الرقي، عن زهير بن عباد الرواسي، عن أبي بكر الداهري، عن عبد الله بن حكيم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن الوليد بن عقبة فذكره .

وقال الضحاك " يَا ابْنَ عَبَّاسٍ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُمَرِّبَ الْمَعْرُوفَ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ أَبْلَغْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ أَرْجُو قَالَ إِنْ لَمْ تَخْشَ أَنْ تُفْتَضَّحَ بِثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَافْعَلْ قَالَ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] أَخَكَمْتَ هَذِهِ؟ قَالَ لَا قَالَ فَالْحَرْفُ الثَّانِي قَالَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كِبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: 2-3] . أَخَكَمْتَ هَذِهِ ؟ قَالَ لَا قَالَ فَالْحَرْفُ الثَّالِثُ قَالَ قَوْلُ الْعَبْدِ الصَّالِحِ شُعَيْبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ﴾ [هود: 88] أَخَكَمْتَ هَذِهِ الْآيَةَ؟ قَالَ لَا قَالَ فَابْدَأْ بِنَفْسِكَ". رواه ابن مردويه في تفسيره .

وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا زيد بن الحريش، حدثنا عبد الله بن خراش، عن العوام بن حوشب، عن سعيد بن المسيب بن رافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله - صلى

الله عليه وسلم-: « مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَلَمْ يَعْمَلْهُوَ بِهِ لَمْ يَزَلْ فِي ظِلِّ سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى

يَكُفَّ أَوْ يَعْمَلَ مَا قَالَ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ»، إسناده فيه ضعف، وقال إبراهيم النخعي: إِنِّي لَأَكْرَهُ الْقَصَصَ

لثَلَاثِ آيَاتِ قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: 2-3].

وقوله إِنْخَبَارًا عَنْ شُعَيْبٍ: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَضَكُمْ عَنْهُ إِنِّي أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: 88].

تعليق الشيخ:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع

هداه، أما بعد:

فإنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أصلٌ عظيم من أصول الإسلام وميزةٌ عظيمةٌ ميز الله به

هذه الأمة على من سواها كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فأمرُوا بالمعروف وانهوا عن المنكر على طريقة أصحاب محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- الذين بيَّن

الله ميزتهم بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر يتناول كُلَّ

جوانب الإسلام أصوله وفروعه، ويأتي في طليعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأمر بالدعوة إلى توحيد الله - تبارك وتعالى -، الأمر بتوحيد الله والنهي عن الشرك بالله - تبارك وتعالى -، والنهي عن الكبائر وهي كثيرة: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ: الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ» هذه كبائر عظيمة تلي الشرك بالله - تبارك وتعالى -، ينبغي على الأمة اجتناب الشرك واجتناب الكبائر واجتناب سائر المعاصي ولكن أخطرُها الشرك بالله ثم الكبائر.

فأمرُوا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر في هذه الجوانب واعملوا فيما تأمرون به ولا يصدق عليكم قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] فإنه يجب على الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكونوا سباقين إلى القيام بالمعروف هذه كلها، وطاعة الله كُلُّها وأن يكونوا سباقين إلى ترك المنكر فلا يتعرضوا إلى عقوبة الله وسخطه وذمّه أن يأمر الواحد بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه.

أسأل الله - تبارك وتعالى - أن يُثبتنا وإياكم على الحق وأن يجعلنا من الدُّعاة إلى الخير والنَّاهين عن الشر والمجتنبين للشر إذا نهوا عنه إن ربنا سمع الدُّعاء، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



وجزاكم الله خيرا.